اختبار للتطير

التمهيد لتقدير سمتى التفاؤل والتشاؤم فى التطير .

بقلم

نجيب يوسف بدوى

المدرس بطنطا الثانوية الحديثة

تناولنا فى مقال سابق [١] تفسير فرويد للتطير واقترحنا لتحديد علاقة التطير بالشخصية عمل اختبار للتطير . وفى هذا المقال سنبدأ فى مناقشة بعض الأسس التى يقوم عليها مثل هذا الاختبار ونبحث الخطوات التمهيدية المؤدية إليه . وينبغى أن تتوفر فى كل اختبار شروط معينة ، كما يمر الاختبار المقنن على مراحل كثيرة . فإذا ما أردنا وضع اختبار لقياس التطير فإنه يتحتم علينا مراعاة هذه الشروط ، كما يتحتم أن يمر الاختبار على الخطوات العديدة اللازمة لتقنينه .

تعريف التطير :

وأولى هذه الخطوات هى تعريف ظاهرة التطير المراد قياسها وتحديد صداها فى النفوس . لأن الطريقة العلمية تقضى بأن نتثبت من ذاتية هذه الظاهرة وأن نسأل أنفسنا منذ البداية هل هى وحدة حقيقية .

والتطير هو الاعتقاد فى أن النذائر omens(ويضاف إليها البشائر أيضا) تدل على ما يخبئه القدر للمتطير فى المستقبل . وهذه النذائر والبشائر هى رموز ومنبهات قد تكون إما فى حوادث المصادفة الخارجية (زجر الطير — الهرة السوداء — رقم ١٣ . . .) أو فى الحوادث الداخلية [٢] التى من قبيل الأفعال المنعكسة الغير خاضعة للإرادة (رف العين — الاكال [٣] itch فى راحة اليد أو فى بطن القدم —

(١) « سيكولوجية التطير » فى مجلة علم النفس عدد يونيو سنة ١٩٤٩ مجلد ٥ .

(٢) تختلف عن الحوادث الداخلية النفسية اللاشعورية التى يرى فرويد أنها دوافع الأفعال العشوائية والأخطاء غير المقصودة .

(٣) الترجمة للدكتور يوسف مراد .

طنين الأذن) . هذه الرموز والمنبهات خارجية كانت أو داخلية يقابلها استعداد لتفسيرها بحسب الصفات المزاجية والخلقية ونوع الشخصية فيضفى عليها المتطير مغزى ومعنى ويتخذ منها إما بشائر خير يتفاءل بها أو نذائر سوء يتشاءم منها .

بهذا المعنى الضيق الذى حددناه فى هذه التعريف سنحاول تقدير سمتى التفاؤل والتشاؤم كما يظهران فى التطير . ونريد منذ البداية تحديد سمتى التفاؤل والتشاؤم بهذا المعنى الخاص . لأننا عادة عندما نتكلم عن التفاؤل يتداعى معه معنى الانشراح والمرح . وإذا ذكرنا التشاؤم تداعى معه معنى الانقباض والتزمت . وهذا هو المعنى العام الواسع الذى لا نقصده بهذا الاختبار . إنما نقصد به تقدير سمتى التفاؤل والتشاؤم كما يبدوان فى التطير .

هذا التعريف المطول أقرب إلى التفسير منه إلى التعريف . وسيتضح أكثر من ذلك عند استعراض الأمثلة الشائعة للتطير . وحسبنا أن نعلم أن التطير موجود وأن هذه الظاهرة وحدة خاصة محددة يمكن التعرف عليها والتثبت من ذاتيتها وهى صالحة للعزل ويحق لنا فصلها (وهذا العزل أو الفصل اعتبارى غير كامل) . ومهما يكن من أمر هذا التعريف فكثيرا ما تتعدد التعاريف للظاهرة الواحدة وتختلف باختلاف الكتاب . ومن أمثلة ذلك تعدد تعاريف الذكاء . وحسبنا أن بينيه Binet قاس الذكاء قبل أن يعرّفه . فلنقيس التطير من حيث هو موجود .

يقول ثورنديك إن كل ما هو موجود لابد وأن يكون موجودا بكمية ما . فالخطوة الثانية هى تحليل محتويات ظاهرة التطير لبيان أكبر عدد ممكن من أعراضها ، ثم ترتيب مراتب متدرجة فى الشدة لحالات التطير وأغراضها حتى تأتى الأسئلة التى تنصب على أغراض هذه الظاهرة متدرجة معها وبذلك يمكن تقدير التطير تقديرا كميا على أحد مستويات التقدير Rating Scale. فإذا استعرضنا الأمثلة الشائعة للتطير فى مصر — لأن من هذه الأمثلة دون سواها ستؤخذ مادة الاختبار — لأمكن أن نميز ثلاث درجات أو ثلاث حالات : خفيفة — ومتوسطة — وعصابية. وسنحاول فى ثنايا استعراضنا لأمثلة هذه الحالات أن نفسر طريقة اكتساب التطير . وفيما يلى الأمثلة البارزة لكل من هذه الحالات الثلاث :

(١) الحالات الخفيفة — التطير بالإيحاء .

الحالات الخفيفة من التطير تكتسب بالإيحاء (أو بالمحاكاة) عن الوالدين خاصة ومن البيئة المنزلية عامة . ومن أمثلة هذه الحالات الاعتقاد فى علامات

السعد وعلامات النحس . أو علامات الفأل الحسن وعلامات الفأل الردىء فمن علامات الفأل الحسن : التعاويذ — حدوة الفرس — فرسة النبى — خمسة وخميسة (رسم أصابع اليد مفتوحة) — السلحفاة . ومن علامات الفأل الردىء : البومة — الغراب — المرآة المكسورة . . . ومن أمثلة هذه الحالات أيضا التشاؤم من فتح المظلة داخل المنزل — ترك المبراة مفتوحة — والتطير من هذه الأشياء وأمثالها من سمات أشخاص نقابلهم فى الحياة اليومية العادية : فإذا جاء ترتيب أحدهم الثالث رفض أن يشعل سيجارته من نفس العود . وإذا سكب الملح على المنضدة تناول المتطير قليلا منه بين أطراف أصابعه والقى به من خلف كتفه الأيسر . وهذه كلها بعض الأمثلة للحالات الخفيفة التى جرت العادة بالتطير منها . وهى مأخوذة عن العرف والتقاليد عامة وعن البيئة المنزلية والوالدين خاصة .

(٢) الحالات المتوسطة — الفعل المنعكس الشرطى والتطير .

هنالك حالات من التطير أشد من السابقة فى الدرجات وهى التى يقرن فيها المتطير بين الرمز والنتيجة ويرتب على ظهور الرمز نتائج معينة يترقب حدوثها . فإذا شعر المتطير بأكال فى راحة يده اليمنى ترقب أن يقبض نقودا بيمينه ، أو توقع أن يسلم على آت من سفر . وإذا الهرة نبشت البساط بمخالبها فهذه علامة على أن ضيوفا سيحضرون ، وإذا (رفت) عينه اليمنى فإنها بشرى خير . أما العين اليسرى فهى نذير شؤم وهكذا . وفى هذه الحالات قد يكون المنبه خارجيا كرؤية هرة سوداء أو رقم ١٣ ، أو نبش الهرة البساط بمخالبها . وقد يكون المنبه داخليا كأن يشعر المتطير بأكال فى راحة اليد أو فى بطن القدم أو بطنين الأذن أو (رف) العين . . . ولليمنى من كل منها تفسيرات ولليسرى تفسيرات أخرى وهكذا .

هذه الحالات لا يستقيم تفسيرها على أساس الإيحاء أو المحاكاة وحسب لما يوجد بين المتطرفين فى هذه الحالات من فروق فردية بشأن علامات التطير ومغزاها وتفسيراتها . فيختلف المتطيرون بشأن المنبه أو الرمز الواحد : فالبعض منهم يتخذه بشير خير ويتفاءل له ، والبعض الآخر يتخذ نفس هذا الرمز نذير سوء ويتشاءم منه . كذلك لا يكفى الإيحاء ليفسر لنا لماذا تكتسب بعض الرموز والعلامات مغزى خاص عند بعض المتطيرين ، على حين أن رموزا وعلامات أخرى لا يلتفتون إليها وليس لها عندهم أى مغزى .

يمكن تفسير هذه الحالات على أساس اكتساب الفعل المنعكس الشرطى .

فالتطير من هذه الرموز والمنبهات (الخارجية أو الداخلية) من قبيل الاستجابات المكتسبة الشرطية . وكلما شاءت المصادفة أن تأتى نقود بعد أن كان المتطير قد شعر بالأكال فى راحة يده اليمنى ، أو أن يحضر ضيف على أثر أن نبشت الهرة البساط بمخالبها ، أو أن يسمع أنباء سارة كما أنبأته بذلك العين اليمنى ، رسخ الاعتقاد فى صدق هذه النذائر . والمعول عليه فى تكوين هذه الاستجابات الشرطية للعلامات والرموز هو تكرار اتفاق المصادفة ومطابقة النتائج للرموز . وتكرار ما يبدو من تحقق ما سبق له أن توقعه . وهنا يدخل عامل المصادفة . فظروف الموقف لا تحتمل إلا واحداً من اثنين : أن تأتى النتيجة إيجابية أو أن تأتى سلبية ، أن تكون أو أن لا تكون أن تأتى بخير أو أن تأتى بشر ، فنسبه المصادفة ٥٠٪ . ويترتب على تكرار ظهور رمز معين مرتبطا بحوادث سعيدة لشخص ما أن يكتسب هذا الشخص الفعل المنعكس الشرطى للتفاؤل : فتكرار ارتباط الرمز أو المنبه بالنتيجة السارة يترتب عليه أن يصبح مجرد ظهور الرمز (المنبه الشرطى) دليلا أو مثيرا للتفاؤل . وكذلك يترتب على تكرار ارتباط هذا الرمز نفسه أو غيره من الرموز ، عند شخص آخر بحوادث نحس ، أن يصبح هذا الرمز مثيرا للتشاؤم . فإذا (رفت) عينه اليسرى ثم صادفه فى يومه ما يكدره أصبح (رف) العين اليسرى رمزا مرتبطا بحوادث نحس ، ومنبها شرطيا يتوجس منه الشر ، ونذيرا للسوء ، وباعثا على التشاؤم .

وتنطبق هذه الحالات انطباقا تاما أو انطباقا يوشك أن يكون تاما على تجربة بافلوف Pavlov[1] المشهورة التى استطاع بها أن يوجد عند كلبه ارتباطا شرطيا بين دق الجرس وتقديم الطعام ، ترتب عليه سيل لعاب الكلب لمجرد سماعه دق الجرس . ودق الجرس هو المنبه الشرطى أو الرمز ويقابله فى أمثلة التطير منبه شرطى أيضا هو النذير أو البشير . وسيل لعاب الكلب يقابله التشاؤم أو التفاؤل . أما تقديم الطعام — وهو المهم والمعول عليه — فيقابله تحقيق الحادث فعلا واتفاق النتيجة مع ما تعارف عليه المتطير من تطيره بسعد أم بنحس . وقد يكون تحقيق الحادث فعلا باعثا إيجابيا هو بمثابة الجزاء ، إذا أخذنا بالرأى القائل بأن طريقة المحاولة والخطأ من طرق اكتساب العادات . ولا تقف المقابلة بين اكتساب التطير

---

(١) راجع ملخص هذه التجربة فى كتاب «مبادئ» علم النفس العام» للدكتور يوسف مراد ص ١٨٧ — ١٨٩ . الناشر دار المعارف بالقاهرة ١٩٤٨ .

والفعل المنعكس الشرطى عند هذا الحد ، بل إن تعدد الرموز التى تتخذ بشائر خير أو نذائر سوء ، يقابلها فى تجارب بافلوف تنوع المثيرات (السماع — الرؤيا — الشم — اللمس) التى تمكن بواسطتها من إيجاد ارتباط شرطى واحد هو سيل اللعاب . ومن المعروف أن الفعل المنعكس الشرطى يثبت بالتكرار . وكلما تكرر اتفاق المصادفة مع المتطير زاد الارتباط الشرطى قوة . فالمتطير لا يتعرف إلا على الحادث الذى يتفق مع ما يتوقعه من تطيره . فهو يترقب ويختار مثل هذا الحادث من دون الحوادث التى تمر عليه فى يومه ، وبذلك يضيف توكيدات جديدة للارتباط الشرطى تزيده تثبيتا . بينما يميل المتطير إلى أن يسقط من حسابه الحوادث التى أخلفت ظنونه وينساها أو قد لا يتعرف عليها أصلا . وإذا كان الفعل المنعكس الشرطى يقوى بتكرار الارتباط بين النتيجة والرمز ، فإنه يزول إذا تكرر عدم الارتباط بين النتيجة والرمز ، كما سنوضحه بعد قليل .

يفسر الفعل المنعكس الشرطى ظاهرات كثيرة[١] . كما أن كثيرا من أعراض العصاب تفسرها الشرطية . وفى ذلك يذكر ماكردى I. T. MacCurdy[٢] أن أعراض الهستيريا يمكن تفسيرها على أساس الشرطية . بل أن القرحة المعدية وهى من الأمراض السيكوسوماتية تفسر على أساس الشرطية[٣] أيضا . وكذلك نجد أن سيرل برت S. Burt فى تعريفه للعصاب يرى : « أنه غالبا ما يكون سببه صراعا عقليا حادا . وفى العادة يكون هذا الصراع من الشدة بحيث لا يحدث تفككا وحسب بل تصدعا أيضا ، أى نوعا من الخلع الذهنى أو الآفة الذهنية . وسواء أكانت الصراعات خفيفة أم شديدة ، فإنها قد تقابل بإحدى الطرق الشاذة . وتنزع هذه الطرق لمقابلة الصراعات (نتيجة « للشرطية ») إلى أن تصبح مزمنة . وهذا يؤدى إلى نماذج خاصة من الشخصيات السيئة التكامل التى قد تشخص (وبخاصة أثناء الطفولة) بأنها عصابية ، أى محققة المرض ، على حين أنها فى

(١) فى قدرتنا أن نفسر على أساس الشرطية التشاؤم من البومة . فالبومة لاتبصر إلا فى الظلام . وهى لذلك تأوى بالنهار إلى الجهات المهجورة المظلمة . فوجد حينئذ ارتباط (شرطى) بين البومة والأماكن الخربة ، فأصبحت رمزاً للخراب وعلامة على النحس ، ومثيرة أوداعية للتشاؤم .

(٢) J.T. MacCurdy: "Psychopathology and Social Psychology", in the Study of Society, Ch. III., edited by Bartlett and others. p. 67.

(٣) راجع مقال الدكتور مصطفى زيور فى الطب السيكوسوماتى (مجلة علم النفس) عدد يونيو سنة ١٩٤٧ .

رأى سيرل برت خالية من المرض تماما . وكل ما يحتاج إليه أمثال هؤلاء إما التربية الوقائية أو التدريب من جديد (إفساد الشرطيات أو إقامة شرطيات جديدة) لتوقف نمو العادة الشاذة ونحول دون تثبيتها بصفة دائمة)[١]

وفى التطير الذى نحن بصدده ، قد فصلنا القول فى تفسيره على أنه استجابة مكتسبة شرطية ، لأنه يعتبر مثالا نموذجيا من الحياة اليومية العادية . بقى أن نعرف طرق الوقاية منه أو الحيلولة دون اكتسابه . وهذا يقتضى منا العودة إلى تجربة بافلوف مرة أخرى : « فالكلب الذى يتعلم إفراز اللعاب عند سماع قرع الجرس بعد أن كان قد قدّم له الطعام مقرونا بقرع الجرس عدة مرات ، يتعلم أيضا عدم الإفراز إذا قرع الجرس عدة مرات بدون تأييد المنبه الصناعى بتقديم الطعام الذى هو المنبه الطبيعى لإفراز اللعاب . وتعرف عملية زوال الإفراز بعملية الإنطفاء التجريبى . »[٢]

فكأن زوال الاستجابة المكتسبة الشرطية للتطير لا تتأتى إلا إذا تكرر عدم الارتباط بين النتيجة والرمز . وعلاج التطير يرمى حينئذ إلى إفساد الارتباط الشرطى سواء فى ذلك الحالات الخفيفة أو حالات العصاب .

أما فيما يتعلق بالحالات الخفيفة للتطير فمن طريف ما طالعتنابه الصحف قريبا نبأ ذلك النادى الغريب فى بابه ، الذى تكون فى أمريكا ، وأجمع أعضاؤه الثلاث عشر على مقاومة التطير : فهم يشعلون ثلاث سجائر بعود واحد من الثقاب — ويسكبون الملح على المائدة — ويمرون من تحت السلم الخشبى الموسد إلى الحائط . . . وبالجملة يقدمون على كل الأعمال التى ينهيها المتطيرون . وقد يرى البعض فى ذلك بدعة أمريكية جديدة . . . على حين أن فكرتهم تقوم فى الواقع على أساس سليم ، وهو إمكان إفساد الارتباطات الشرطية وإزالتها من أذهان المتطيرين بالقدوة والمثال . هذا عن الحالات الخفيفة .

أما الحالات العصابية فتعالج بالتحليل النفسى . ولسنا من أدعياء المعالجين لهذه الحالات فلنترك ذلك للأخصائيين ، ولنكتف بأن نذكر أن طريقتهم تهدف إلى إفساد الارتباطات الشرطية وإزالتها بالتحليل النفسى وطريقته الترابط الحر بين المعانى . ونعود إلى الاقتباس عن كتاب « شفاء النفس » ص١٠٥ « وسر الشفاء

(١) C. Burt: The Assessment of Personality, Egyp. J. Psy, Vol. II., No. 2. P. 400.

(٢) أنظر : شفاء النفس للدكتور يوسف مراد — دار المعارف ، اقرأ ص ١٠٤ .

عن طريق التعبير اللفظى واحياء الذكريات القديمة المزعجة تكشفه . . . تجارب بافلوف . . . فحالة المريض الذى يسترجع الذكرى المزعجة ويروى الحادث عدة مرات بدون أن يستجيب له بطريقة شاذة كما كان قد فعل عند وقوعه ، شبيهة بحالة الكلب الذى يكف عن الإفراز عندما يتكرر قرع الجرس بدون أن يقرن بالطعام . »

يتضح بجلاء مما سبق صدق تفسيرنا لطريقة اكتساب التطير على أساس الشرطية conditioning ، وزواله بإفساد الشرطية de-conditioning .

(٣) الحالات العصابية من التطير .

يُظهرنا فرويد [١] على حالات مرضى من أصحاب الفكرة المتسلطة أو المصابين بالظواهر العصبية القهرية [٢] المعروفة باسم Compulsion Neurosis يلعب التطير دورا هاما فى حياتهم . وهؤلاء تؤنبهم ضمائرهم على أعمال لم يقوموا بها . وتتسلط عليهم أفكار تطاردهم وتلاحقهم . فإذا استفسر أحد هؤلاء العصابيين عن أحد معارفه ممن غاب عنه مدة طويلة ، توقع أن يسمع أنه توفى ، وأن روح المتوفى هى التى ألهمته بالسؤال عنه . وإذا ذكر أى شخص بسوء تسلطت عليه فكرة أنه سيموت قريبا فيبخل كاهله بالشعور بالذنب وبأنه مسئول عن وفاته . وهذه المبالغة فى الشعور بالذنب على جرم لم يرتكبه فعلا الدافع إليها لاشعورى نتيجة لتمنياته الشريرة السابقة للغير بالموت death wishes . ومن أعراض هذا العصاب ما يطلق عليه فرويد omnipotence of thought أى المغالاة فى تقدير الفكرة النفسية فى الداخل إذا ما قورنت بما يقابلها من حقيقة الواقع فى الخارج . ولا تقتصر هذه الأعراض على حالات « الإلزام العصابى » وحسب بل إنها تميز أنواعاً أخرى من العصاب . وإذا ما حاول المعالج أن يكشف عما فى اللاشعور ، وأن يخرجه بالتحليل النفسى إلى مستوى الشعور ، خشى المريض المتطير أن يفصح عن هذه التمنيات الشريرة للغير بالموت خوفا من أن تتحقق فعلا على إثر تفوهه بها .

هذه بعض الأمثلة للحالات العصابية من التطير التى كشف فرويد عن

---

(١) S. Freud: Totem and Taboo. Pelican, pp. 120-122.

(٢) الترجمة لمحمد فتحى بك — ويمكن اختصارها إلى «الإلزام العصابى» ؟

دوافعها اللاشعورية والتى عناها بقوله : « إن التطير منشأه الدوافع العدائية القاسية المكبوتة ، فالجزء الأكبر من التطير ينم عن الخوف من شر مستطير . ومن يتمنى الشر لغيره ، ولكنه يضطر إلى كبت هذه النزعة الشريرة فى اللاشعور نتيجة لحسن تربيته ، فإنه يتوقع العقاب على هذا الشر المكبوت ، عقابا يأتيه على شكل شر ونحس يتهدده من الخارج »[1]

وفى هذا التفسير يتناول فرويد ناحية التشاؤم . وقياسا عليه أضفنا تفسيرا للتفاؤل[2] بأنه شيمة من يتمنى الخير للغير ، وأن من أحب لغيره ما يحب لنفسه توقع أن يرتد إليه الخير فيستبشر به ويتفاءل له . وإن كان من غير المرغوب فيه فى الطريقة العلمية أن نقحم أحكاماً خلقية . ويحسن الاقتصار على الدراسة الموضوعية للظاهرة .

وخلاصة القول يمكننا فى ضوء التقسيم السابق ، أن نقسم الناس بشأن التطير إلى سبع فئات كما يتضح من الرسم البيانى الآتى : —

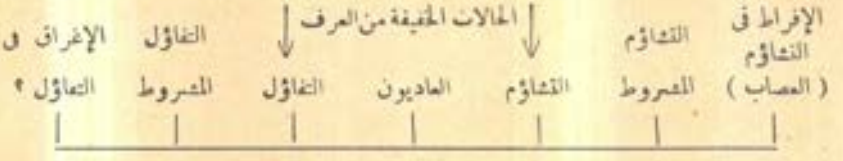

رسم بيانى لتوزيع سمتى التفاؤل والتشاؤم

١ — العاديون المحايدون ممن لا يتطيرون ولا يكترثون للعلامات والرموز .

٢ — الحالات الخفيفة ومنها من يعتقدون فى الفأل الحسن والفأل الردىء مجاراة للعرف لا عن يقين .

٣ — الحالات المتوسطة ومنها المتطيرون الذين اكتسبوا الفعل المنعكس الشرطى للتطير (التفاؤل المشروط والتشاؤم المشروط .)

٤ — الحالات العصابية — كما فى « الإلزام العصابى » ، ويقابلها الإغراق فى التفاؤل ؟

---

(١) S. Freud: Psychopathology of Everyday Life. Pelican, p. 197.

(٢) « سيكلوجيه التطير » فى مجلة علم النفس عدد يونيو سنة ١٩٤٩ مجلد ٥ .

وإذا أمعنا النظر فى هذا الرسم البيانى لأمكن ملاحظة ما يأتى :

أولا : إذا افترضنا أن هذا التقسيم سينتج لنا «منحنى تكرارى معتدل» Normal Frequency Curve فإنه من المرجح أن تكون حالات العصاب نادرة ، لذلك نضع حالات التشاؤم المفرط قرب أحد طرفى هذا الرسم البيانى . فإذا فعلنا ذلك كان لزاما علينا أن نضع فى أقصى الطرف المقابل حالات الإغراق فى التفاؤل . فما هى هذه الحالات ؟ . فالأمثلة لها مبهمة وغير مألوفة . وإن كان مما يتمشى مع منحنى التوزيع المعيارى أن تكون هذه الحالات نادرة . ولكن الأهم من ذلك هو هل نعتبر الإغراق فى التفاؤل — والحالة هذه — من الحالات غير السوية ؟ .

ثانيا : كلما ابتعدنا صوب طرفى الرسم البيانى اختلط بسمتى التفاؤل والتشاؤم سمات أخرى . فإذا كان المقصود من هذا التوزيع هو القياس الكمى quantitative إلا أننا نلمس قرب الأطراف اختلافا نوعيا qualitative فالتشاؤم المفرط يدخل فيه الخوف (ولا سيما الخوف من قوات غيبية) . كما أن الإغراق فى التفاؤل يحمل فى ثناياه معان أخرى ، فقد ينطوى على معنى الغرور مثلا .

ولكن هل من عجب إذا ما صادفنا هذا التداخل بين العناصر ؟ أليس هذا هو شأن سمات الخلق ؟ وكذلك الشأن فى القدرات العقلية . وإلا فما معنى التكامل إذا لم يكن فى ارتباط السمات واتصال القدرات وتضامنها جميعاً فى الشخصية ككل ؟ ولولا تداخل هذه السمات وترابط تلك القدرات فى الوحدة وهى الشخصية ، لما لجأنا إلى الطرق الإحصائية لتقديرها وقياسها .

ثالثا : يلوح أن ليس فى مقدور الاختبار أن يكشف لنا عن حالات العصاب . فهذه الحالات بعيد عن متناول أسئلة الاختبار الكشف عنها وذلك لسببين : —

(١) للمقاومة العنيفة التى يبديها العصابى فى أثناء التحليل النفسى وامتناعه عن الإفصاح عن الدوافع العدائية القاسية المكبوتة فى اللاشعور وعن التمنيات الشريرة للغير بالموت ، خوفا من أن تتحقق فعلا ! .

(٢) كون هذه الدوافع مكبوتة معناه أنها لن تخرج إلا فى غفلة الرقيب لأن الترابط الحر الحقيقى بين المعانى لا يتأتى إلا فى حالة غفلة الرقيب وانطلاق ما فى اللاشعور . وهذه الحالة لا تتوفر عند إجراء الاختبار .

يتضح من هذه الاعتبارات السابقة أن تمييز سبع درجات للتطير أمر متعذر . فإذا استبعدنا الدرجتين المتطرفتين لأصبح عندنا « مستوى تقدير » Rating Scale

من ١ — ٥ للتطير ٣ تمثل العاديين كما يوضحه الشكل الآتى : —

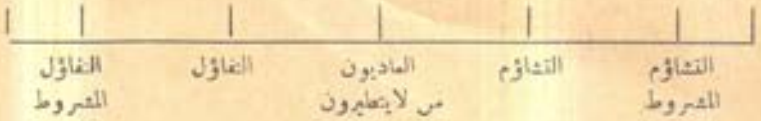

« مستوى تقدير » كى لقياس سمتى التفاؤل والتشاؤم

الخطوة التالية لذلك هى وضع أسئلة الاختبار . ويشترط أن تؤخذ من الأمثلة الشائعة للتطير فى مصر ، وأن تكون متدرجة وتنصب على الحالات الخفيفة والحالات المتوسطة أى على حالات التطير المأخوذ عن العرف والتقاليد (كالاعتقاد فى علامات الفأل الحسن وعلامات الفأل الردىء) وعلى الحالات التى يكتسب فيها المتطير الفعل المنعكس الشرطى (التفاؤل المشروط والتشاؤم المشروط) . كما ينبغى مراعاة الأصول المتبعة المعروفة فى صياغة الأسئلة . ولابأس من أن يشترك أكثر من باحث واحد فى وضعها . وهى بعد كل ذلك وبطبيعة الحال قابلة للتعديل بحسب ما يتضح عند التجريب .

يثير « مستوى التقدير » السالف الذكر بعض الاعتبارات الهامة[1] التى ينبغى الالتفات إليها : —

أولا : المسافات على « مستوى التقدير » ليست متساوية ، أى أنها ليست كدرجات الحرارة فى الترمومتر أو كالسنتيمتر على المسطرة . وإذا ما أعطينا الاختبار لعينة ممثلة أى لعدد كاف من الوجهة الإحصائية ، فإننا نتوقع أن نحصل على توزيع يطابق « المنحنى التكرارى المعتدل » وبمقتضاه تكون الغالبية موجودة فى المنطقة الوسطى والأقلية فى طرفى المنحنى . ومن المعروف أن جميع قدرات الإنسان الجسمانية والعقلية إذا قيست بدقة فإن توزيعها « يطابق المنحنى التكرارى المعتدل » فيما عدا توزيع المعتقدات الدينية والسياسية فإنه يكون على عكس المنحنى السالف الذكر أى ينتج توزيعها « منحنى ذا شعبتين U-Shaped curve » .

فإذا ما جاء توزيع نتائج اختبار التطير مطابقا للمنحنى التكرارى المعتدل ، دل ذلك على أن العينة جيدة وممثلة من ناحية ، وأن من الممكن أن نحول التقديرات

(١) P.E. Vernon: "Questionnaire, Attitude Tests and Rating Scales", in the Study of Society, edited by Bartlett and others, Kegan Paul, 1939. Ch. IX.

ratings إلى « درجات الانحراف المعيارى » standard deviation scores من ناحية أخرى . وهذه الدرجات هى التى تمثل وحدات وقيم متساوية سيكلوجياً .

ثانيا : ما هى دلالة الصفر فى مستوى التقدير ؟ . الواقع أنه لا يوجد صفر حقيقى ، وعلى ذلك فنحن لا نقيس الكميات فى متغير variable ، بل نقيس الاختلاف فقط فى الكمية بالنسبة لهذا المتغير . فنحن نعتبر أن التطير بشقيه (التفاؤل والتشاؤم) له كمية تتفاوت من شخص إلى آخر ويمكن إخضاعها للقياس .

كذلك يحتاج القياس إلى وحدة (فوحدة الطول هى السنتيمتر مثلا ، والكهرباء تقاس بالفولت) فالوحدة تكون دائما من نوع ما يراد قياسه . فماذا ننتظر أن تكون وحدة قياس التطير ؟ الوحدة تكون من نوع الوظائف أو المظاهر أو الأداء performance الذى يؤديه المختبر . وهذه هى أنواع السلوك المختلفة فى المواقف المعروفة كما تدل عليها الإيجابة على أسئلة الاختبار .

ثالثا : الاختبارات التى تتناول النواحى الأخلاقية ، نتائجها دائما ضعيفة وينبغى أن تؤخذ بحذر . ومن الطريف أن نتائج مثل هذه الاختبارات تتفق بمعامل ارتباط عال مع الذكاء . ومعنى ذلك أن الشخص الذى يجرى عليه الاختبار إذا كان على قسط كاف من الذكاء أمكنه أن يستنتج الغرض من الاختبار ، فيجيب عليه بما يتفق مع القيم الأخلاقية السائدة .

وفى التطير الذى نحن بصدده ، سيتضح الغرض من الاختبار لأول وهلة . فيخشى حينئذ أن يعمد المجيب إلى تجنب الصراحة أو قد يحجم عن إظهار مخاوفه وتشاؤمه ، وقد لا يأخذ الاختبار مأخذ الجد . فما لم نضمن الصراحة التامة والصدق فى الإجابات ، والرغبة الصادقة فى التعاون ، فلا قيمة للنتائج . ومن هنا تظهر أهمية إشراف هيئة لها مكانتها على تنظيم هذا الاختبار وتوزيعه .

وأكتفى بهذا القدر فى مناقشة الخطوات التمهيدية لاختبار التطير . ويتبقى بعد ذلك العمل الأساسى وهو تحليل النتائج وتقنين الاختبار . فإذا قدّر لهذا الاختبار[1] أن يجتاز الخطوات العديدة اللازمة لتقنينه بنجاح ، لأمكن عندئذ

(١) ترجمة نشر الاختبار حتى يمر بمرحلة أولى من التطبيق التجريبى وبعد تعديله على ضوء هذا التطبيق . ويسرنا أن نتلقى ممن يهمهم دراسة هذا الموضوع أمثلة مختلفة للتشاؤم والتفاؤل فى مصر والأقطار الشقيقة .

إضافة التطير بشقيه (التفاؤل ، والتشاؤم) إلى سمات الشخصية . ويساعدنا فى ذلك وجود اختبارات مقننة مضبوطة للسمات المزاجية والخلقية التى تكون الشخصية. فإذا أرفقنا بهذه الاختبارات أختبارا آخر للتطير لأمكن بالطرق الإحصائية وبإيجاد معاملات الارتباط بين النتائج ، وتطبيق مناهج التحليل العاملى عليها أن نحدد العلاقة بين التطير والشخصية .

نجيب يوسف بدوى

Résumé

UN TEST POUR MESURER LA CROYANCE AUX PRESAGES

Par

Naguib Youssef Badawi

Etude préliminaire en vue d'établir un test pour mesurer les deux traits du caractère: pessimisme et optimisme, tels qu'ils se présentent chez les sujets qui croient aux présages et aux augures. Malgré la difficulté de donner une bonne définition d'une pareille attitiude, l'auteur pense qu'on peut chercher à la mesurer, après en avoir établi l'existence d'une manière empirique en passant en revue ses diverses manifestations depuis les plus légères jusqu'aux névrotiques d'entre elles. Il cite des exemples de croyances aux présages propre au milieu egyptien. Ces croyances sont dues soit à la suggestion et à l'imitation, soit à un conditionnement réflexe, soit comme dans les cas graves à de facteurs inconscients tels que les tendances agressives refoulées, la peur du châtiment, etc...

L'auteur discute la valeur d'un test destiné à mesurer ces deux attitudes, optimisme et pessimisme. Il pense qu'un pareil test serait incapable de déceler les cas extrêmes qui côtoient la névrose, à cause de l'effet du refoulement. En restreignant le test aux cas légers et moyens, il serait bon de se demander dans quelle mesure les réactions des sujets sont susceptibles de modifier les résultats attendus du test. Le test proposé sera publié après une première phase d'application expérimentale.